

منه روائع عصر الانبياء

## ٢- قصص الأيام العشرة

بقلم موفاني بولاشيو

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بقية ما نشر في العدد الماضي

فان قصص الأيام المشرة تفوقها من الناحية الفنية في مواطن كثيرة، وتمتاز بالأخص بعبورها ومغازيها الدقيقة، وصورها الفكرة اللادعة، ومع أنها تمتاز أيضاً بكثير من التنوع والتباين في التصوير والوصف، فإنها تمتاز في نفس الوقت بطابع من التناسق المتمتع في الروح والأسلوب والتعبير

وقد رجح بوكاشيو في كتابة قصصه إلى مادة غزيرة من القصص القديم وقصص العصور الوسطى، وإلى بعض الحوادث الواقعية التي شهدتها، وإلى بعض حوادث حياته ذاتها؛ ويرى بعض النقاد أن الفتيان الثلاثة الذين اتخذهم بوكاشيو أبطالاً لثلاثة من الأيام العشرة، انما يمثلون ثلاث مراحل مختلفة من حياة بوكاشيو نفسه، وأن في قصصهم كثيراً مما اشتق من حياة بوكاشيو ذاتها

وبدأ بوكاشيو كتابة قصصه كما قدمنا، أيام عصف الرباه بمدينة فلورنس في ربيع سنة ١٣٤٨، وأنجز الثلاثة أيام الأولى منها في مايو سنة ١٣٤٩، وهو يومئذ بنابل، كما يستدل من خطاب الاهداء الذي يوجهه عن هذا القسم إلى صديقه الساندرو دي باردی التاجر الفلورنسي، وكان يقيم يومئذ في جابيتا؛ وانتهى من كتابة مؤلفه في سنة ١٣٥٣، أعني لحسة أعوام من البدء فيه؛ وظهرت الطبعة الأولى من هذه المجموعة المتخلدة في سنة ١٤٩٢

\*\*\*

وقصص الأيام العشرة تجرى حوادثها في جميع المدن الإيطالية وفي بلاد بيده أخرى مثل البرتغال أو انكلترا والاسكندرية وآسيا الصغرى؛ وقد اختصت فلورنس موطن المؤلف، وكذلك نابيل حيث عاش بوكاشيو مدى حين، بكثير منها؛ وفي كثير منها نجد صوراً ممتعة لمحاسن الطبيعة في تلك الأرحاء، ووصفاً شائفاً فكهماً لمجتمعات هذه العصور وخلالها ومثالبها

كذلك تقدم الينا هذه القصص أبطالاً من كل صنف وضرب؛ فهناك مجتمع العصور الوسطى بكل طوائفه وشخصياته، من سادة وفرسان وأحبار وقسس، وشعراء وفنانين، وصناع وعمال ولصوص، ونساء من كل ضرب؛ وهناك شخصيات الطبقة العليا من ملوك وأمراء وسادة وملكات وأميرات وسيدات

يستطيع أولئك الذين قرأوا قصص بوكاشيو وألف ليلة وليلة، أن يجدوا بعض نواحي الشبه بين الأثرين، سواء في المادة أو الروح؛ ذلك أن قصص الأيام المشرة تفيض كقصص ألف ليلة وليلة بروح مادية قوامها السرور والمرح، والتوفر على استمتاع هذه الحياة بأي الوسائل؛ وتفيض أيضاً كالف ليلة وليلة بالواقف الفرامية المدهشة المثيرة، أو اللبثلة أحياناً؛ ثم إن كلا الأثرين يرى إلى غاية واحدة تقريباً، وهي مجالدة النوائب والنسيان والسلى؛ ففي ألف ليلة وليلة نجد ملكاً نكب بخيانة زوجته، واقلب إلى بغض النساء، يتسرى في كل ليلة بكراً ثم يقتلها في صباح اليوم الثاني، إلى أن يبعث إليه وزيره بابنته «شهر زاد»، فتحتال لتسليّة الملك وتحويله عن فكرة الثأر من النساء، وانقاذ نفسها وبنات جنسها، بأن تقص عليه في كل ليلة طرفاً من القصص الشائق حتى ألف ليلة وليلة؛ وفي الأيام المشرة نجد عشر سيدات وسادة يجتمعون أثناء الرباه، المروع للترويج عن أنفسهم وتناسي ويلات الفناء والموت، بتبادل القصص المتع

ولا نغني بذلك أن جوفاني بوكاشيو قد تأثر في كتابة قصصه بألف ليلة وليلة؛ ذلك أن هذه القصص الشهيرة لم تكن قد عرفت في الغرب في عصره؛ ولكننا نريد أن نقول فقط إنه يوجد بين الأثرين تماثل في الروح والطابع والغاية يرجع إلى تماثل في روح العصور الوسطى وفي روح مجتمعاتها على أنه إذا كانت قصص ألف ليلة وليلة تمتاز أحياناً بخيالها المبدع، وفيها المتع، وصورها الوصفية والاجتماعية الشائقة،

وشهواتهم الوضيعة ، يسترونها تحت ثيابهم ومظاهر ورعهم  
الناشرة ؛ واليك كيف يعرض بوكاشيو نظريته في خبث رجال  
الذين على لسان بانفيلو أحد القتيان الثلاثة إذ يقول :

« سيداتي الحسان ، لقد خطر لي أن أقص عليكم حديثاً ضد  
أولئك الذين يسيثون إلينا دائماً ، دون أن نستطيع نحن الانتقام  
منهم ؛ وأعني بذلك رجال الدين الذين أعلنوا حرباً صليبية على  
زوجاتنا ، والذين إذا ظفروا بواحدة منهن ، تصوروا أنهم قدغنموا  
غفران الذنب والمعوية ؛ وفي ذلك يعجز المدنيون عن مقابلتهم  
بالمثل ، وإن كانوا يصبون جام انتقامهم على أمهات القسس  
وأخواتهم ، وخليلاتهم ، وبناتهم ، ويطاردونهن مثل الحماسة التي  
يطارد بها القسس أزواجهم »

فيجيب زميله فيلوستراتو : « إن الحياة الفاسقة الدنسة التي  
يجيهاها رجال الدين ، وهي في كثير من نواحيها عنوان دائم  
للخبث ، تقدم بكل سهولة فرصة لذوى العقول ليحملوا عليها  
ويجرحونها »

ويقدم إلينا بوكاشيو مجموعة متباينة من القسس الذين فاضت  
نفوسهم بأروع صنوف الاجترار والاثم ، ويصور لنا خباياهم  
ودسائسهم وتحيلهم على استباحة الأعراض بكل الوسائل ،  
واستتارهم في ذلك باسم الدين ؛ كذلك يقدم إلينا طائفة من  
الراهبات اللاتي يضطرن وراء جدران الدير توتقاً وجوى ،  
ويلتمسن تحقيق شهواتهن بأحسن الوسائل ؛ وفي هذه القصص  
الكنسية يبدو بوكاشيو في ذروة فنه وسخريته اللاذعة ، ومع  
أنه يشتد في حملته على الكنيسة وأخبارها ، فإنه يحيط هذه الصورة  
الخبثية بكثير من الدعابة والمرح

وقد أثارت هذه القصص المثيرة سخط الكنيسة الكاثوليكية  
على الكتاب ومؤلفه ، فوضعت فيما بعد في قائمة الكتب المحظورة ؛  
ولكنها لما رأت بعد ذلك أن هذا الحظر لم يحل دون ذبوع  
الكتاب ، سمحت بظهوره في القرن السادس عشر في ثوب  
مهذب رفع منه القسس والراهبات واستبدلوا في صلب القصص  
الأصلية بسيدات وسادة

\*\*\*

وقد كتب بوكاشيو قصصه بكثير من الحرية والبساطة ؛

أنيقات من كل الطبقات ، وهناك طائفة كبيرة من ملوك وأمهراء  
ممينين معاصرين وغير معاصرين

ونجد مثل هذا التباين في موضوعات القصص ؛ ونلاحظ  
أولاً أن القصص كلها بعيدة عن الاسهاب المل ، وقد صيغت في  
أحجام متقاربة ، من خمس صفحات الى عشرين ؛ بيد أن هذا  
الايجاز في الحجم لم يحل دون حسن السبك ، ففي كل قصة فكرة  
طريفة ، وفي كل نادرة فكهة ، وحادثه مطربة . وهناك تنوع  
ظريف في الحوادث والفكر ؛ بيد أنه يلاحظ أن القصص الغرامية  
تشغل أكبر حيز وتفوز بأكبر نصيب ، وربما كانت تسمه  
أعشار المجموعة كلها . وهنا تبدو براعة بوكاشيو وفنه بصورة  
بارزة ؛ فهذه المجموعة الغرامية الحافلة بعيدة عن التماثل المل ،  
وفي كل منها نجد مأساة أو مهزلة غرامية طريفة ؛ وربما صيغ  
بعضها في أبواب مفرقة ، وتضمنت أفكاراً أو مواقف مستحيلة ،  
ولكنها على العموم تنفث نفث السحر والتناج

وهذا الأفق الغرامي الساحر هو الذي يسود قصص الأيام  
الشرية ؛ وهنا يبدو بوكاشيو في ذروة فنه وسحره ؛ فالحب هو  
قوام المجتمع ، وهو متاع الحياة ، والحب يمد المرأة والرجل معا  
بكثير من البراعة والعزم والحيانة والشجاعة والكرم ، والاقدام  
والقدر ؛ وفي أحيان كثيرة يمزج بوكاشيو المأساة بالهزل والفكاهة ؛  
فهنا زوجة خثرون تدبر أن يضرب زوجها في نفس حديقته من  
يد حبيبها ، وتحمله على منازلته كمنوان على الاخلاص والحب ؛  
وهنا طالب عاشق يسير طول الليل فوق الجليد جيئة وذهاباً ، يتنا  
تجدجه الحسنة ، وحبيبها باسمين من وراء النافذة ؛ وهذا قس ساذج  
تستخدمه زوجة عاشقة دون أن يدري في توثيق علاقتها بحبيبها  
المنشود وتدير وسائل التمتع بوصله ؛ وهذه زوجة خبيثة تدبر  
لحبيبها الوصل في منزلها وفي فراشها ، يتنا زوجها يضرع الى ربه  
مستغفراً عن ذنوبه في مكان آخر من الدار ؛ وهذا قس خبيث  
يفترس فتاة ساذجة تحت ستار الوعظ والهداية ؛ وهذه راهبة  
مضطربة تحتال لاقتناص جنات الدير حتى توقه في شرك  
وصالحها ، وغير ذلك مما يضيق المقام عن ذكره

وبما يلاحظ بنوع خاص أن بوكاشيو يحمل على الأخبار  
والقسس بشدة ، وينوه في كثير من المواطن بأخلاقهم الفاسدة

فانه لا ضير من وجودها ، ولم يكن في وسعي أن أكتب غير ما سمعت ؛ ولا عصمة لانسان ؛ وفي الحقل النظر تنمو الأعشاب الضارة ؛ ولما كنت أقصد أن أحدث فتيات الشعب ، فانه لم يكن ثمة داع للتكاف والبحث عن الصيغ والمبارات المنمقة

هكذا يمتدرك بوكاشيو عما عسى أن يبدو في قصصه من خروج على حدود الحياء والحشمة ؛ بيد أنه مهما كانت الملاحظات التي تبدى في هذا الشأن ، فانه لا ريب أن قصص بوكاشيو ، تعتبر من أقيم الآثار العالمية وأبدعها وأمتعها

وقد كان لمجموعة الأيام العشرة أعظم الأثر في تطور النشر الايطالي ، وتطور فن القصص الأوربي بوجه عام ؛ وما زالت آثار بوكاشيو تعتبر الى جانب آثار دانتي وبترايك ، قوام الأحياء الأوربي ، والصرح الأول في بثته وازدهاره

( تم البحث - النقل ممنوع ) محمد عبد الله عنانه

وإذ كان معظمها يتحدث عن الحب والوصل ، فان مؤلفها لم يحاول تحفظاً في وصف الناظر والصور ، ولم يحاول تكلفاً في اللفظ أو التعبير ؛ وعلى ذلك فقد يبدو لنا أن قصص الأيام العشرة تخرج في كثير من المواطن عن حدود الحياء والحشمة ؛ والواقع أن بوكاشيو يتحدثنا عن الحب وعن الوصل ، وعن العلاقات والشهوات الجنسية في كثير من البساطة والصراحة ، ويقدم إلينا هذه الصور الغرامية المضطربة طارئة لا يسترها لفظاً أو محشم ؛ ولكن هل يجوز لنا مع ذلك أن نعتبر قصص بوكاشيو أثراً خليماً يبيو عن معيار الحياء والحشمة والخلق الرفيع ؟ لقد وجهت هذه التهمة إلى قصص بوكاشيو منذ ظهورها ، وما زالت توجه إليها في عصرنا ؛ واضطر بوكاشيو نفسه أن يجيب عنها في خاتمة مجموعته ، وأن يبريء نفسه من قصد البعث والاسفاف

يقول النقدة ، لقد تحدث بوكاشيو كثيراً عن الحب ، وأسرف في ملق النساء واسترضائهن ؛ ويجيب بوكاشيو ، ولماذا لا ؟ لقد ملق النساء أذهان عظام مثل جيدو كافالكانتي ودانتي الجييري ، وألغوا في استرضائهن متعة وشرفاً

ويقولون إن بوكاشيو استباح لنفسه وصف الناظر الجنسية الثيرة ، واستعمل ألفاظاً تنبوع عن الحياء والحشمة ؛ ويقول بوكاشيو إنه ينكر هذه التهمة ، « لأنه لا يوجد ثمة شيء قبيح يحظر على إنسان ما ، إذا استطاع أن يخرج في صيغ مقبولة ، وهذا ما بلوح أنه قد فعل بصورة مرضية »

ويقولون إن هذه الفصص تثير فساداً وتحدث ضرراً ؛ ويقول بوكاشيو ، إن كل شيء في الوجود يمكن أن يحدث الخير والنشر ؛ فمن ذا الذي لا يعرف أن النبيذ وهو من أفضل مقومات الصحة ، مضر بالمحمومين ؟ وهل لنا أن نقول إنه ضار لأنه يؤذي المحمومين ؟ ومن ذا الذي لا يعرف أن النار مفيدة بل ضرورية للانسان ؟ وهل لنا أن نقول إنها شر لأنها تحرق الدور والقرى والمدن ؟ كذلك تكفل الأسلحة سعادة أولئك الذين يريدون العيش في سلام ؛ ولكن الأسلحة كثيراً ما تودي بحياة الناس ، لا نجث في ذاتها ، ولكن نجث أولئك الذين يستعملونها . ثم يقول بوكاشيو : فاذا كان ثمة في الأيام العشرة قصص مشيرة أو خارجة ،

طبعة جبريرة منقحة من كتاب :

## الانيس المطرب بزروض القرطاس في تاريخ ملوك الغرب ومدينة فاس

تصدرها

شركة النشر المغربية

في ثلاثة أجزاء

تعاليق تضاعف حجم الكتاب - مقابلات مع عدة نسخ  
مخطوطة ومطبوعة - ضبط الأعلام - زيادات الخ  
الجزء الأول في ٢٠٠ صفحة يصدر في ٢٥ مايو

نمن الجزء ١٠ فروش صاغ عدا أجرة البريد

المخابرات مع مندوب الشركة سعيد حجي

سلا ( المغرب ) Salé ( Maroc )